

# الاتخاذ

## عناصر الموضوع

٢٨٨	مفهوم الاتخاذ
٢٨٩	الاتخاذ في الاستعمال القرآني
٢٩٠	اللفاظ ذات الصلة
٢٩١	الاتخاذ في حق الله تعالى
٢٩٦	أنواع الاتخاذ
٣٠٤	أسباب الاتخاذ
٣٠٨	أساليب القرآن في عرض الاتخاذ
٣١٥	عاقبة الاتخاذ

## مفهوم الاتخاذ

## أولاً: المعنى اللغوي:

الاتخاذ مصدر من تخذـ يتـخذـ، كعلم يعلم: بمعنى: أخذـ، تـخذـ الشـيءـ واتـخذـتهـ، وقرىـ: (لتـخذـتـ) و(لاتـخذـتـ)، وهو افتـعلـ من تـخذــ، فـأـدـغـمـ إـحـدىـ التـاءـيـنـ فـيـ الـأـخـرـىـ<sup>(١)</sup>ـ، يـقـالـ: تـخذـتـ مـالـاـ، أيـ: كـسـبـتـهـ، أـلـزـمـتـ التـاءـ كـأـنـهـ أـصـلـيـةـ، وـالـأـصـلـ مـنـ الـأـخـذـ<sup>(٢)</sup>ـ.

ورـأـىـ ابنـ الـأـثـيـرـ أـنـهـ لـيـسـ مـنـ الـأـخـذـ فـيـ شـيءـ، فـإـنـ الـاقـتـعـالـ مـنـ الـأـخـذـ: اـتـخـذـ؛ لـأـنـ فـاءـ هـمـزةـ، وـالـهـمـزةـ لـاـ تـدـغـمـ فـيـ التـاءـ<sup>(٣)</sup>ـ. وـالـأـكـثـرـونـ عـلـىـ أـنـ أـصـلـهـ مـنـ الـأـخـذـ، وـمـعـنـيـ الـأـخـذـ وـالـتـخـذـ وـاحـدـ، وـهـوـ حـوـزـ الشـيءـ وـتـحـصـيلـهـ<sup>(٤)</sup>ـ.

وـمـنـ خـلـالـ ماـ سـبـقـ يـتـبـيـنـ أـنـ الـاتـخـاذـ يـتـمـرـكـزـ مـعـنـاهـ اللـغـويـ حـوـلـ الـكـسـبـ وـالـحـوـزـ وـالـتـحـصـيلـ.

## ثانيـاـ: المعـنىـ الـاصـطـلاـحـيـ:

الـاتـخـاذـ اـصـطـلاـحـاـ: هوـ «ـالـاقـتـنـاءـ»<sup>(٥)</sup>ـ، «ـوـالـاتـخـاذـ»ـ أـخـذـ الشـيءـ لـأـمـرـ يـسـتـمـرـ فـيـ، مـثـلـ الدـارـ يـتـخـذـهـ مـسـكـنـاـ، وـالـدـابـةـ يـتـخـذـهـ قـعـدـةـ»<sup>(٦)</sup>ـ.

وـالـمـتـدـبـرـ فـيـ الـمـعـنـيـنـ الـلـغـويـ وـالـاصـطـلاـحـيـ يـجـدـ اـتـصـالـاـ بـيـنـهـماـ؛ حـيـثـ إـنـ الـمـعـنـيـ الـاصـطـلاـحـيـ أـخـذـ الشـيءـ وـالـاسـتـمـرـارـ فـيـ، وـهـذـاـ مـرـتـبـطـ بـمـعـنـيـ الـاتـخـاذـ اللـغـويـ الـذـيـ هوـ الـكـسـبـ وـالـحـوـزـ وـالـتـحـصـيلـ مـعـ الـاسـتـمـرـارـ فـيـ الـأـخـذـ، وـهـذـاـ هوـ الـاقـتـنـاءـ.

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١/٣٣١، مجلـلـ اللـغـةـ، ابنـ فـارـسـ، ١٤٦/١، مقـايـيسـ اللـغـةـ، ابنـ فـارـسـ، ١/٣٤١.

(٢) انظر: العين، الفراهيدي، ٤/٢٩٨.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/١٨٣.

(٤) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ٩/٣٧٠، ٣٧٨/٩.

(٥) التوقف على مهام التعاريف، المناوي، ١/٣٧.

(٦) الفروق اللغوية، العسكري، ١/١٣٨.

## الاتخاذ في الاستعمال القرآني

ورد الجذر (أَخْ ذ) في القرآن (٢٧٣) مرة، يخص موضوع البحث منها (١٢٨) مرة<sup>(١)</sup>. والصيغة التي وردت عليها هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿وَأَنْخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]	٦٦	الفعل الماضي
﴿وَمِنْ نَمَرَاتِ النَّخْلِ وَالْأَعْنَبِ تَنْخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرَقًا حَسَنًا﴾ [التحل: ٦٧]	٥٣	الفعل المضارع
﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى الْفَلِقِ أَنَّ أَنْجِدِي مِنَ الْجَنَّالِ بِئْوَانًا﴾ [التحل: ٦٨]	٥	فعل الأمر
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ يَا إِنْخَادُكُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤]	١	المصدر
﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْعُضُلَيْنِ عَصْدًا﴾ [الكهف: ٥١]	٣	اسم فاعل

وجاء الاتخاذ في القرآن بمعناه في اللغة، وهو: الافتعال من الأخذ، وهو: التناول للشيء والحوز والاختيار والجعل<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَأَنْخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]<sup>(٣)</sup>. يعني: اختار الله إبراهيم مصافياً.

(١) انظر: المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ١٦-٢٠.

(٢) انظر: مختار الصحاح، الرازبي، ص ١٤.

(٣) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٥٠-٥٢.

## الكلمات ذات الصلة

١ الأخذ:

### الأخذ لغة:

الأخذ مصدر أخذ، الهمزة والخاء والذال أصل واحد تترع منه فروع متقاربة في المعنى، يقال: أخذت الشيء أخذه أخذ، أي: تناولته<sup>(١)</sup>.

### الأخذ اصطلاحاً:

الأخذ خلاف العطاء، وهو حوز الشيء وتحصيله، وذلك تارة بالتناول، وتارة بالغلبة والقهر، ومنه أخذته الحمى، وفلان يأخذ مأخذ فلان يذهب مذهبة ويسلك مسلكه<sup>(٢)</sup>.

### الصلة بين الأخذ والاتخاذ:

الأخذ هو تحصيل الشيء، أما الاتخاذ فهو أخذ الشيء والاستمرار فيه مثل الدار يتخذها مسكنأ<sup>(٣)</sup>، فالاتخاذ اقتناء واجباء.

٢ الإبعاد:

### الإبعاد لغة:

الإبعاد بكسر الهمزة وسكون الباء من أبعد، والأصل بعد بالضم بعده فهو بعيد، أي: تبعد، وأبعده غيره، وبأعده، وبعده بعيداً، وبعد ضد القرب<sup>(٤)</sup>.

### الإبعاد اصطلاحاً:

التنحية<sup>(٥)</sup>، وترك الشيء بعيداً.

### الصلة بين الإبعاد والاتخاذ:

الإبعاد من الكلمات المقابلة للاتخاذ، فالاتخاذ أخذ الشيء وقصده واعتماده والاستقامة عليه، أما الإبعاد تنحية الشيء وتركه بعيداً.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦٨ / ١، لسان العرب، ابن منظور، ٤٧٢ / ٣.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ٦٧ / ١، لسان العرب، ابن منظور، ٤٧٢ / ٣.

(٣) انظر: الفروق اللغوية، العسكري، ١ / ١٣٨.

(٤) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ٥٣ / ١، معجم لغة الفقهاء، قلعي وقنيبي، ٣٩ / ١.

(٥) انظر: معجم لغة الفقهاء، قلعي وقنيبي، ٣٩ / ١.

## الاتخاذ في حق الله تعالى

واختياره واحتياجه بكرامة تشبه كرامة  
الخليل عند خليله.

والخليل: هو الذي يخالفك، أي: يوافقك  
في خلالك، أو يسايرك في طريقك، أو يسد  
خلالك كما تسد خللها، وهو المحب لمن  
يحبه، من الخلة وهي المودة والمحبة التي  
تخلل النفس وتمازجها<sup>(١)</sup>.

فالآية الكريمة تدل على اختيار الله  
إبراهيم خليلاً، وفيها تأكيد على وجوب  
اتباع ملته؛ لأن من كانت له هذه المنزلة  
من الزلفى عند الله بأن اتخذه خليلاً، كان  
جديراً بأن تتبع ملته وطريقته، فالله أمن  
على إبراهيم بسلامة الفطرة والاعتقاد، وقوة  
العقل وصفاء الروح، وكمال المعرفة بالله،  
وشدة العزيمة وعلو الهمة في محاربة الوثنية  
والشرك، حتى صار من أولي العزم، فهو  
خليل الرحمن، عدو الشيطان<sup>(٢)</sup>.

إن اتخاذ الله سبحانه وتعالى إبراهيم  
خليلاً لشدة محبة ربه سبحانه وتعالى له؛ لما  
قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها، لا  
لحاجته إلى مخالفته وللتکثر به والاعتضاد،  
وهذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنه إمام  
يقتدى به حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به

إن المتأمل في الآيات القرآنية الكريمة  
التي تتحدث عن الاتخاذ، يجد أن الاتخاذ  
في حقه سبحانه، منه ما هو مثبت في حقه،  
ومنه ما هو منفي، وسنوضح ذلك فيما يلي.

### أولاً: الاتخاذ المثبت في حق الله تعالى:

إن المستقرية لأيات الاتخاذ في حق  
الله سبحانه وتعالى يجد أن الله سبحانه  
وتعالى أثبت لنفسه اتخاذ الخليل واتخاذ  
الشهداء، ولم ينسب لنفسه اتخاذًا سوى  
ذلك، فالاتخاذ المثبت في حق الله بمعنى  
الاختيار، فالله عز وجل اختار إبراهيم  
خليلاً، ويختار من يشاء من عباده ليكون  
شهيدها.

#### ١. اتخاذ الخليل.

لقد اتخذ الله سبحانه وتعالى إبراهيم  
عليه السلام خليلاً، والخلة كمال المحبة،  
وسيدنا إبراهيم عليه السلام أهلاً لذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنْ دِينًا يُعَذَّبْ أَنَّمَّا وَجَهَهُ بِاللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَأَنَّهُدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٥٦٩/١  
إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٢٣٧/٢  
تفسير المراغي، ١٦٣/٥.

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٥٦٩/١  
التفسير المنير، الزحيلي، ٢٨٧/٥.

قد اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَمْتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرًا خَلِيلًا...»<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ اسْتَحْقَ كُلُّ النَّبِيِّنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْمَتَزَلْلَةُ؛ لَمَّا لَهُمَا مِنْ الصَّفَاتِ، وَالْأَفْعَالِ الْعَظِيمَةِ الْجَمِيلَةِ.

## ٢. اتَّخَادُ الشَّهِداءِ.

إِنَّ الْحَقَّ سَبَحَانَهُ الْمُتَعَالُ الْغَنِيُّ عَنِ الْخَلْقِ غَنِيُّ مَطْلُقًا فِي سِيَاقِ تَكْرِيمِهِ لِلشَّهِداءِ، يَجْعَلُهُم مَمْنَنْ يَتَّخِذُهُمْ، فَقَدْ أَثْبَتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ اتَّخَادَ الشَّهِداءِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا وَيَتَّحَذَّدُ مِنْكُمْ شَهَدَاءً﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فَاللَّهُ يَمْيِيزُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ<sup>(٤)</sup>، وَيَكْرِمُ مِنْ أَكْرَمِ أَهْلِ الإِيمَانِ بِالشَّهَادَةِ، فَالشَّهَادَةُ اخْتِيَارٌ وَإِكْرَامٌ وَاصْطِفَاءٌ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّهِداءُ اتَّخَادٌ مِنَ اللَّهِ يَتَّخِذُهُمْ لِنَفْسِهِ.

وَالشَّهِداءُ جَمْعٌ شَهِيدٌ، وَهُوَ مِنْ قَتْلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِسَيفِ الْكُفَّارِ فِي الْمَعرَكَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الشَّهِيدِ: فَقَيْلٌ: الشَّهِيدُ الْحَيُّ؛ لَأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ حَضَرَتْ دَارَ السَّلَامَ وَشَهَدَتْهَا، وَقَيْلٌ: سَمِيَ شَهِيدًا؛ لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَهَدَ لَهُ بِالْجَنَّةِ، وَقَيْلٌ: سَمُوا شَهِداءً؛ لَأَنَّهُمْ يَشْهُدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّدِيقِينَ

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ، وَمَوَاضِعُ الصَّلَاةِ، بَابُ النَّهِيِّ عَنْ بَنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقِبُورِ، رَقْم١، ٥٣٢، ٣٧٧.

(٤) انظر: جَامِعُ الْبَيَانِ، الطَّبَرِيِّ، ٢٤٣/٧.

الْعَبَادَ لَهُ، حَتَّى انتَهَى إِلَى درَجَةِ الْخَلْةِ الَّتِي هِي أَرْفَعُ مَقَامَاتِ الْمُحَبَّةِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِكُثْرَةِ طَاعَتِهِ لِرَبِّهِ، كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً فَانِّي لَلَّهُ حَسِينًا وَلَقَرِيبًا مِنَ النَّشِيرِكِينَ﴾ [النَّحْل: ١٢٠].

وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَلَقَرِيبًا مَنِ الَّذِي وَقَاتَ﴾

(١) [النَّجْم: ٣٧].

يَقُولُ أَبْنُ الْقِيمِ: «وَلَمَا كَانَتِ الْخَلْةُ مَرْتَبَةً لَا تَقْبِلُ الْمُشَارِكَةَ امْتَحَنَ اللَّهُ -سَبَحَانَهُ- إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ بِذِبْحِ وَلَدِهِ، لَمَّا أَخْذَ شَعْبَةَ مِنْ قَلْبِهِ، فَأَرَادَ -سَبَحَانَهُ- أَنْ يَخْلُصَ تَلْكَ الشَّعْبَةَ لَهُ وَلَا تَكُونَ لِغَيْرِهِ فَامْتَحَنَهُ بِذِبْحِ وَلَدِهِ، وَالْمَرَادُ: ذِبْحُهُ مِنْ قَلْبِهِ لَا ذِبْحُهُ بِالْمَدِيَّةِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقَدِمَ مَحْبَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَحْبَةِ الْوَلَدِ، خَلُصَ مَقَامُ الْخَلْةِ وَفَدَى الْوَلَدَ بِالْذِبْحِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا سَمِّيَتِ خَلْلَةُ لِتَخْلُلِ الْمُحَبَّةِ جَمِيعَ أَجزاءِ الرُّوحِ»<sup>(٢)</sup>.

وَلَمْ يَخْتَصْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَلْلَةِ الرَّحْمَنِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى ، بَلْ شَارَكَهُ فِيهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَنْ جَنْدِبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: (إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(١) انظر: تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَبْنُ كَثِيرٍ، ٤٢٢/٢، الجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، التَّرْطِيْبِيِّ، ٤٠٢/٥.

(٢) رَوْضَةُ الْمُحَبِّينِ، ٤٨/١.

وعلى أنهم هم استيقنوا هذا فلم يألوا جهداً في كفاح الباطل، وطرده من حياة الناس، وإنقرار هذا الحق في عالمهم، وتحقيق منهج الله في حكم الناس، يستشهدهم الله على هذا كله فيشهادون، وتكون شهادتهم هي هذا الجهاد حتى الموت، وهي شهادة لا تقبل الجدال والمحاجة، وكل من ينطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقال له: إنه شهد، إلا أن يؤدي مدلول هذه الشهادة ومقتضاها، ومدلولها هو ألا يتخد إلا الله إلهًا، ومن ثم لا يتلقى الشريعة إلا من الله، فأخص خصائص الألوهية التشريع للعباد، وأخص خصائص العبودية التلقى من الله.

ومدلولها كذلك ألا يتلقى من الله إلا عن محمد صلى الله عليه وسلم، بما أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يعتمد مصدراً آخر للتلقى إلا هذا المصدر، ومقتضى هذه الشهادة أن يجاهد إذن لتصبح الألوهية لله وحده في الأرض، كما بلغها محمد صلى الله عليه وسلم، فيصبح المنهج الذي أراده الله للناس والذي بلغه عنه محمد صلى الله عليه وسلم هو المنهج السائد والغالب والمطاع، وهو النظام الذي يصرف حياة الناس كلها بلا استثناء.

فإذا اقتضى هذا الأمر أن يموت في سبيله

على الأمم؛ لأن الشهادة تكون للأفضل والأفضل من الأمة؛ لأن منصب الشهادة منصب عظيم، ولفضل الشهداء العظيم يتخذهم الله، والاتخاذ دائمًا هو أن يأخذه إلى جانبه لمزية له ورفة لمكانته<sup>(١)</sup>.

**«وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شَهِيدًا»** وهو تعبير عجيب عن معنى عميق، إن الشهداء لمختارون يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه سبحانه، فما هي رزية إذن ولا خسارة أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص، إن هؤلاء هم الذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة ليستخلصهم لنفسه سبحانه، ويخصهم بقربه، ثم هم شهداء يتخذهم الله، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداء لا شبهة فيه ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق وتقريره في دنيا الناس.

يطلب الله سبحانه منهم أداء هذه الشهادة على أن ما جاءهم من عنده الحق؛ وعلى أنهم آمنوا به وتجددوا له وأعزوه حتى أرخصوا كل شيء دونه، وعلى أن حياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/٢١٨، لباب التأويل، الخازن، ٣٠٢/١، تفسير الشعراوي، ١٧٨٤/٣.

العجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجه إلى الواقع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجن: علامك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفاً ضعف خلقه، الذين تضطربهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقوع شيء يكون منه ولد<sup>(٣)</sup>، ويؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَبْيَعُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِنَّمَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾ [الأనعام: ١٠١].

فماذا يريد الحق من الصاحبة؟ إنه لا يريد شيئاً، فلا الولد ولا الصاحبة يزيدان له قدرة تخلق، ولا حكمة ترتب، ولا علماً يدبر، ولا أي شيء، وخلاف هذا التصور عبث<sup>(٤)</sup>، فالله مترء عن اتخاذ الزوجة سبحانه وتعالى ذلك الله لا إله إلا هو، فهو الموصوف بكل كمال، المترء عن كل نقص.

## ٢. اتخاذ الولد.

الأدلة على نفي اتخاذ الله سبحانه وتعالى للولد كثيرة، منها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾ [مريم: ٣٥].

فالله سبحانه وتعالى مترء عن اتخاذ الولد، وهو غني عن العالمين؛ إذ اتخاذ الولد افتقار إليه، والله سبحانه وتعالى هو

فهو إذن شهيد، أي: شاهد، طلب الله إليه أداء هذه الشهادة فأداها، واتخذه الله شهيداً، ورزقه هذا المقام، هذا فقه ذلك التعبير العجيب، ويتخذ منكم شهداء، وهو مدلوّل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله<sup>(١)</sup>.

**ثانياً: الاتخاذ المنفي في حق الله تعالى:** كما أن الله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه اتخاذاً، فقد جاءت آيات قرآنية أخرى تنفي صوراً من الاتخاذ عن الله سبحانه وتعالى، ومنها اتخاذ الزوجة والولد والظهير والمعين.

## ١. اتخاذ الزوجة.

لقد نفي الله سبحانه وتعالى عن نفسه اتخاذ الزوجة، فهو مترء عن المماثلة بخلقها، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ قَنَّلَ جَدَّ رَبِّنَا مَا أَنْهَدَ صَبْرَجَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: ٣].

فالآية الكريمة تنفي عن الله اتخاذ الصاحبة أي: الزوجة، تعالى عظمة ربنا وجلاله، ما اتخاذ زوجة ولا ولداً<sup>(٢)</sup>.

يقول الطبرى في تفسير هذه الآية: «والمعنى: أن حظوظه من الملك والسلطان والقدرة العظيمة عالية، فلا تكون له صاحبة ولا ولد؛ لأن الصاحبة إنما تكون للضعف

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب / ٤٨١.

(٢) انظر: التفسير الميسّر، نخبة من أساتذة التفسير، ٥٧٢ / ١.

(٣) جامع البيان، ٩ / ٣٣٠.

(٤) انظر: تفسير الشعراوى، ٦ / ٣٨٣٨.

الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً!»<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: «وَقَالُوا أَنْتَ أَنْدَلُّ الْرَّحْمَنَ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا» [مريم: ٨٨-٨٩].  
والإد: هو المنكر العظيم والأمر الفظيع<sup>(٣)</sup>.  
«وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنَ أَنْ يَنْجِذَّ وَلَدًا» [مريم: ٩٢] فهو الغني فلا يفتقر إلى أحد، وهو الملك فكل ما سواه مملوك، وهو الحي الذي لا يموت، وهو الوارث الباقى، تعالى ربنا وتقدس<sup>(٤)</sup>.

### ٣. اتخاذ الظاهر والمعين.

وإن من الاتخاذ المبني عن الله سبحانه وتعالى: اتخاذه الظاهر والمعين.

قال تعالى: «مَا أَنْشَدَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَنَعِّذًا مُضْلِلِينَ عَضْدًا» [الكهف: ٥١].

فالله ينفي اتخاذه الشياطين والكافر أنصاراً وأعواناً، والعديد يستعمل كثيراً في معنى العون؛ لأنَّه قوام اليد، والاعتراض: التقوي وطلب المعونة، والله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى عون أحد<sup>(٥)</sup>.

ومعنى الآية: «أَيُّ مَا أَحْضَرْتِ إِلَيْسِ وَذُرِّيْتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حِينَ

(٢) التفسير الواضح، محمد حجازي ١ / ٧٠.

(٣) انظر: المفردات، الراغب، ص ٦٩.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١ / ١٥٨.

(٥) انظر: المصدر السابق ١١ / ٢.

الغني فلا يفتقر إلى أحد، فما يريد تحقيقه يتحقق بتوجه الإرادة لا بالولد والمعين<sup>(١)</sup>.

ونفي القرآن الكريم ما ينسبه المشركون لله سبحانه وتعالى من اتخاذه الولد، تعالى الله عز وجل عما يقولون علواً كبيراً.

قال تعالى: «وَقَالُوا أَنْجَدَ اللَّهُ وَلَدًا سَبَحَنَاهُ بِكُلِّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ قَنِينُونَ» [البقرة: ١١٦].

قال أهل الكتاب والمشركون من اليهود والنصارى وغيرهم: المسيح ابن الله، وعزيز ابن الله، والملائكة بنات الله!!

سبحانه وتعالى وتزييه لها عمما يدعون، بل له كل ما في السماوات والأرض ومنهم هؤلاء، الكل قد خلقهم الله، كل له مقادون إن طوعاً وإن كرهاً، وهو الذي أبدع السماوات والأرض وما فيهن، وإذا أراد أمراً -فلا راد لقضائه- كان وتحقق من غير امتناع، فمن له كل ما في السماوات والأرض خلقاً وملكاً، ومن له كل ما في الكون كائناً ومنقاداً، ومن أبدع السماء والأرض والوجود كله، ومن إذا أراد أمراً كان ووجد من غير امتناع أو إباء، من كان هذا شأنه أيحتاج إلى الولد أو الوالد؟ ومن كان هذا شأنه يكون له جنس؟ أم هو الواحد

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٤٩٣، في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤ / ٢٣٠، شرح العقيدة الواسطية، محمد الهراس، ١ / ٨٣.

## أنواع الاتخاذ

إن المتأمل في معاني الآيات التي تحدثت عن الاتخاذ في حق المخلوق يجد أن الاتخاذ إما أن يكون محموداً وإما أن يكون مذموماً، فال محمود مدحه الله ومدح أهله، ودعا إليه، والمذموم ذمه الله وذم أهله، وحذرنا منه.

### أولاً: الاتخاذ المحمود:

اشتملت كثير من الآيات التي تتحدث عن الاتخاذ في القرآن الكريم على معنى الاتخاذ المحمود، وفيما يلي نذكر بعض صور الاتخاذ المحمود.

١. اتخاذ الله سبحانه وتعالى وكيلًا.  
أمر الله سبحانه وتعالى نبيه، وهو أمر المسلمين جميعاً باتخاذ الله وكيلًا.  
قال تعالى: **﴿رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾** [المزمول: ٩].

فهذا اتخاذ محمود، فالله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب وما بينهما من العالم، لا ينبغي أن يعبد إله سواه، فهو المستحق للعبادة، ولا وكيل سواه؛ لذا أمرنا الله باتخاذه وكيلًا ومديراً في كل أمورنا، نعتمد عليه ونلجأ إليه ونفوض إليه الأسباب <sup>(٤)</sup>.

<sup>(٤)</sup> انظر: جامع البيان، الطبرى ٢٣/٦٨٩، تيسير الكرييم الخطيب، ١١/٨٠٦.

خلقتهما، **﴿وَلَا خَلَقَ أَنْثِيَمْ﴾** أي: وما أشهدت بعضهم أيضاً خلق بعض منهم، ونفي الإشهاد كنایة عن نفي الاعتصاد بهم والاستعانة على خلق ما ذكر أبلغ؛ إذ من لم يشهد فأنى يستعان به؟ فأنى يصح جعله شريك؟ ولذلك قال سبحانه وتعالى: **﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضْلِلَنَّ عَضْدًا﴾** أي: وما كنت متخدلاً بأعواناً لخلق ما ذكر، بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، أي: وإذا لم يكونوا عضداً في الخلق، فما لكم تتخلدونهم شركاء في العبادة؟ واستحقاق العبادة من توابع الخالقية <sup>(١)</sup>.

وخصوص سبحانه وتعالى المضلين بالذكر، زيادة في ذمهم وتوبتهم، وتقريراً لأمثالهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس له أعون ولا أنصار لا من المضلين ولا من المهتدين <sup>(٢)</sup>.  
ونحو ذلك قوله تعالى: **﴿وَمَا لَدُنْهُمْ إِنْ ظَاهِرٌ﴾** [سبأ: ٢٢].

أي: ما لله من هؤلاء من معين على خلق شيء، بل الله المنفرد بالإيجاد، فهو الذي يبعد، وعبادته غيره محال، والظهير: هو المعين الذي يستند ظهر من يستعين به، فهم ليسوا شركاء لله، ولا أعونا له، وإنما هم عبيد مسخررون لجلاله وقدرته <sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> محسن التأويل، القاسمي، ٤٢/٧.

<sup>(٢)</sup> انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٥/٢٧٦.

<sup>(٣)</sup> انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٤/٢٩٥، التفسير القرآني للقرآن، عبد

لوضع الحجارة في أعلى الجدار، وقد ثبتت آثار قدميه في الحجر، وهذا الحجر يعرف إلى اليوم بالمقام، وكان إبراهيم عليه السلام قد وضع المسجد الحرام حول الكعبة ووضع الحجر الذي كان يرتفع عليه للبناء حولها، فكان المصلى على الحجر المسمى بالمقام، فذلك يكون المصلى متخدًا من مقام إبراهيم على كلا الإطلاقين، ولم يكن الحجر الذي احتلى عليه إبراهيم في البناء مخصوصاً بصلة عنده، ولكنه مشمول للصلاة في المسجد الحرام، ولما جاء الإسلام بقي الأمر على ذلك إلى أن كان عام حجة الوداع أو عام الفتح دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم سنت الصلاة عند المقام في طواف القدوم<sup>(٢)</sup>.

### ٣. اتخاذ النحل للجبال بيوتاً.

لقد أوحى الله للنحل أن تتخذ الجبال بيوتاً، وهنا أكثر من كونه أمراً فهو وحي، إذاً هو اتخاذ محمود.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى الْخَلْقِ أَنْ أَتَخْذِي مِنَ الْجَبَالِ بَيْوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَرِعُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

أودع الله في النحل إدراكاً لصنع محكم مضبوط متبع شرابة نافعاً: إنه العسل، فقد افتحت الآية بفعل أوحى لما في أوحى

(١) انظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور، ١/٧١٠.

يقول الشوكاني: «﴿فَأَتَخْذِهِ وَكِيلًا﴾ أي: إذا عرفت أنه المختص بالريوبية فاتخذه وكيلًا، أي: قائماً بأمرك، وعول عليه في جميعها، وقيل: كفيلاً بما وعدك من الجزاء والنصر»<sup>(١)</sup>.

### ٤. اتخاذ مقام إبراهيم مصلى.

أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يتخذوا مقام إبراهيم عليه السلام؛ تكريماً له لإنخلاصه، ولتكون قدوة للناس، وهذا اتخاذ محمود، فهو أمر من الله، قال تعالى: ﴿وَأَتَخْذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَصَلًّ﴾ [البقرة: ١٢٥].

على إرادة القول، أي: قلنا: اتخاذوا منه موضع صلاة تصلون فيه، وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب، ومقام إبراهيم: الحجر الذي فيه أثر قدميه، والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه، وقيل: الحرم كله مقام إبراهيم<sup>(٢)</sup>.

ويطلق مقام إبراهيم على الكعبة؛ لأن إبراهيم عليه السلام كان يقوم عندها بعد الله تعالى، ويدعوه إلى توحيده، ويطلق مقام إبراهيم على الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام حين بنائه الكعبة ليترفع

(١) الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٩٢.

(٢) فتح القدير ٥/٣٨١.

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري، ١/١٨٥.

أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يتخذوا الشيطان عدواً؛ لأنّه يسعى دائمًا لإيقاعهم بالفساد، فاتخاذ الشيطان عدواً هو اتخاذ محمود، يجنب العبد الوقوع في مكائد الشيطان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَنَ لَكُوْنُ عَدُوٌ فَلَا تَتَّخِذُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُوْنُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

أمر الله باتخاذ العدو عدواً، وتلك عداوة مودعة في جبلته كعداوة الكلب للهر، لأن جبلة الشيطان موكولة بياقاع الناس في الفساد وأسوأ العواقب في قوالب محسنة مزينة، ومن لوازم اتخاذه عدواً العمل بخلاف ما يدعوه إليه لتجنب مكائده ولمقته بالعمل الصالح، حيث أعقبت الآية الأمر باتخاذ الشيطان عدواً بتحذير من قبول دعوته، وحث على وجوب اليقظة لتغريمه، وتجنب توليه بأنه يسعى في ضر أوليائه وحزبه، فيدعوهم إلى ما يوقعهم في السعير.<sup>(٤)</sup>

يقول سيد قطب: «الشيطان يغر ويخدع؛ فلا تتمكنوه من أنفسكم ﴿وَلَا يَغْرِيَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾، والشيطان قد أعلن عداه لكم وإصراره على عدائكم ﴿فَلَا تَتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ لا تركناه إليك، ولا تتخذه ناصحاً لكم، ولا

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦٠ / ٢٢

من الإيماء إلى إلهام تلك الحشرة الضعيفة تدبّرًا عجیباً وعملاً متقدّماً وهندسة في الجبلة<sup>(١)</sup>، ﴿فَلَا تَنْخِذُنِي مِنَ الْجَبَالِ بَيْوَاتِهِ وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِنَ يَعْرِشَنَ﴾ أي: أجعلني لك بيوتاً في الجبال تأوي إلينا، واتخاذ البيوت هو أول مراتب الصنع الدقيق الذي أودعه الله في طبائع النحل فإنها تبني بيوتاً بنظام دقيق، وأشار إلى أنها تتخذ في أحسن البقاع من الجبال أو الشجر أو العرش دون بيوت الحشرات الأخرى؛ وذلك لشرفها بما تحتويه من المنافع، وبما تشتمل عليه من دقائق الصنعة<sup>(٢)</sup>.

يقول سيد قطب: «والنحل تعمل باليهام من الفطرة التي أودعها إياها الخالق، فهو لون من الوحي تعمل بمقتضاه، وهي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها، أو في تقسيم العمل بينها، أو في طريقة إفرازها للعسل المصفي، وهي تتخذ بيتها -حسب فطرتها- في الجبال والشجر وما يعشرون، أي: ما يرثون من الكروم وغيرها، وقد ذلل الله لها سبل الحياة بما أودع في فطرتها وفي طبيعة الكون حولها من توافق»<sup>(٣)</sup>.

## ٤. اتخاذ الشيطان عدواً.

(١) انظر: المصدر السابق، ٢٠٤ / ١٤

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠٦ / ١٤، تفسير المراغي، ١٤ / ١٠٤

(٣) في ظلال القرآن، ٤ / ٢١٨١

وأخبر بذم من أشرك به واتخذ من دونه ولیاً.  
قال تعالى: ﴿أَلَا يَرَوُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَا  
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَزْلِكَةً مَا  
نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
بِذِنْهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَعْتَلُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْنِي  
مَنْ هُوَ كَذِيبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ۲۳].

فالذين يتخلون من دون الله آلته يتولونهم بعبادتهم ودعائهم لتشفع لهم وتقر لهم لله، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص والتوحيد، وتجروا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، فهو لاء وصفهم الله بالكذب والكفر<sup>(۱)</sup>، وقد ضرب الله مثل من اتخذ من دون الله ولیاً معمداً عليه يحتمي بحماه، يقصد به التعزز والتقوى والنفع، وهو لا يجلب له نفعاً ولا يدفع عنه ضرراً، بحال العنكبوت اتخذت بيته، لتحتمي به من الأخطار، وهي لا تدرى أن هذا البيت لا يقي حرراً ولا برداً.

قال تعالى: ﴿مَنْ لِلَّهِ أَزْلِكَةٌ كَمَنْ لِلْعَنْكُبُوتِ  
وَنَوْنَ اللَّهُ أَزْلِكَةً كَمَنْ لِلْعَنْكُبُوتِ  
أَتَخَذَتْ بَيْتاً وَلَئَنْ أَقْرَنَ الْبَيْوتَ لَيَتَّ  
الْعَنْكُبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ۴۱].

فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت

(۱) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ۷۱۷.

تبعوا خطاه، فالعدو لا يتبع خطى عدوه وهو يعقل! وهو لا يدعوك إلى خير، ولا يتنهى بكم إلى نجاة: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ  
لِيَكُونُوا مِنْ أَحَدِ الْمُسَعِّرِينَ﴾! فهل من عاقل يجيب دعوة الداعي إلى عذاب السعير!<sup>(۲)</sup>  
إنها لمسة وجدانية صادقة، فحين يستحضر الإنسان صورة المعركة الخالدة بينه وبين عدو الشيطان، فإنه يتحفز بكل قواه وبكل يقظته وبغرizia الدفاع عن النفس وحماية الذات، يتحفز لدفع الغواية والإغراء، ويستيقظ لمداخل الشيطان إلى نفسه، ويتوهج من كل هاجسة، ويسرع ليعرضها على ميزان الله الذي أقامه له ليتبين، فلعلها خدعة مسترة من عدوه القديم! وهذه هي الحالة الوجدانية التي يريد القرآن أن ينشئها في الضمير<sup>(۳)</sup>.

### ثانيًا: الاتخاذ المذموم:

اشتملت كثير من الآيات التي تتحدث عن الاتخاذ في القرآن الكريم على معنى الاتخاذ المذموم، نذكر منها ما يلي:  
۱. اتخاذ الأولياء والآلهة من دون الله.

إن اتخاذ الأولياء من دون الله هو اتخاذ مذموم، ذمه القرآن الكريم، فلما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به،

(۲) في ظلال القرآن، ۵/ ۲۹۲۶.

وكذلك نهى الله عن اتخاذ الأصنام شفعاء من دون الله، فهي لا تملك نفعاً ولا ضرراً، فالشفاعة لله وحده.

قال تعالى: ﴿أَرَىٰ أَنْتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقُلُونَ ﴾ ﴿قُلْ لِلَّهِ السُّفْنَةُ جَيْعَانًا لَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[الزمر: ٤٣ - ٤٤].

أي: قل لهم يا محمد: أتخذون الأصنام والقرابان شفعاء من دون الله، وهي لا تملك شيئاً ولا تعقل؛ لأنها جمادات، فهذا استفهم إنكاري لهذا الاتخاذ الباطل، فالشفاعة لله وحده، ولا شافع إلا من شفاعته<sup>(٢)</sup>.

## ٢. اتخاذ الكفار واليهود والنصارى أولياً من دون المؤمنين.

فقد نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين من اتخاذ الكفار أولياً بموالاتهم ونصرتهم ومحبتهم، بل لابد من التبرؤ منهم، واتخاذ المؤمنين أولياً.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْتَخِذُوا الْكَفَرِيْنَ أُولَئِكَمِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَنَاتٍ مُّبِينَ﴾ [النساء: ١٤٤].

هذا نهي من الله لعباده المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين، الذين يتخذون

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٦٣ / ١٥

باتخاده إلا ضعفاً، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرون بهم، ازدادوا ضعفاً إلى ضعفهم، ووهناً إلى وهنهم<sup>(١)</sup>. ومن الاتخاذ المذموم اتخاذ الأخبار والرهبان أرباباً من دون الله، وهذا شرك بالله، فلا يجوز طاعتهم.

قال تعالى: ﴿أَنْتَخَذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرَهْبَنَتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَنْتَ مَرِيكَمْ وَمَا أَمْرِقَا إِلَّا لِيَعْتَذِرُوا إِلَيْهَا وَاحْدَالًا إِلَّهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [التوبه: ٣١].

هذه الآية في اليهود الذين اتخذوا علماءهم، والنصارى الذين اتخذوا رهبانهم سادة لهم يطعونهم في معصية الله، فيحلون ما أحلوه لهم مما حرم الله، ويحرمون ما حرموه لهم مما أحله الله، بالإضافة لاتخاذهم المسيح ابن مريم ربّاً من دون الله، والله أمرهم ألا يعبدوا ويطيعوا إلا إليها واحداً هو الله سبحانه وتعالى ، وأما طاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله، وهذا الأمر من الله دليل على بطلان اتخاذهم<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٦٣١.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبرى، ١٤ / ٢٠٨، أنوار التنزيل، البيضاوى، ٣ / ٧٨.

فيتوجب على أهل الإيمان عدم اتخاذ أعداء الإسلام من اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء، وألا يسروا إليهم بأسارهم ولا يطمئنوا لمودتهم، فهم لن يخلصوا لهم؛ لأنهم أولياء بعضهم بعضاً، ثم توعد من يوالיהם أو يعينهم أو يستنصر بهم، فإنه في الحقيقة منهم، أي: من جملتهم، وكأنه مثلهم، وليس من صف المؤمنين الصادقين، وهذا تغليظ من الله وتشديد على المنافقين الذين يتصادقون مع اليهود والنصارى المخالفين في الدين؛ لأن مواليهم تستدعي الرضا بدينهم<sup>(٣)</sup>.

٣. اتخاذ الدين والرسول لهوا ولعباً.  
إن من الاتخاذ المذموم ما يفعله الكفار من اتخاذ دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لهوا ولعباً، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم يستهزرون برسول الله صلى الله عليه وسلم متى رأوه. قال تعالى: ﴿وَلَا رَأْوَكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُرِّبُوا أَهْنَى الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

وهذا القول صدر عن أبي جهل، على سبيل التناقض والازدراء والاستهزاء -قبحهم الله-، فهذا اتخاذ مذموم<sup>(٤)</sup>.

الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فيكونوا مثلهم في ركوب ما نهاهم عنه من موالة أعدائهم، فيقول لهم -جل ثناؤه-: لا توالوا الكفار فتوازروهم من دون أهل ملتكم ودينكم من المؤمنين، فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ أَوْلَيَاءَ إِنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيَسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ قَوْمٌ وَيَعْدِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وهذا نهي من الله لعباده المؤمنين أن يتخلذوا الكافرين أعواناً وأنصاراً يعادلونهم المحبة والمناصرة على إخوانهم المؤمنين، وأعلمهم تعالى أن من يفعل ذلك فقد برئ الله تعالى منه، وذلك لکفره ورديته، حيث والى أعداء الله وعادى أولياء<sup>(٢)</sup>.

ونهى الله سبحانه وتعالى أيضاً من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وحلفاء، فهذا الاتخاذ المذموم يسبب سخط الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَآمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلَيَاءَ بِمَضِمْمَةِ أَوْلَيَاءَ بَعْضُهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعِدُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٢٥/٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١١/٦، ٣٥/١٣.  
الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٥/١٣.

(١) انظر: جامع البيان، الطبراني، ٣٣٦/٩.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزاير، الجزء الأول، ٣٠٦/١.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَنْهِيَ إِنْ قَوْمٍ أَتَخْذُلُهُمْ هَذَا الْقُرْآنُ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠]. الآية تتضمن شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم حال قومه مع القرآن، والمعنى: إن قومي اتخذوا هذا القرآن الذي جئت به إليهم، وأمرتني بإبلاغه وأرسلتني به مهجوراً، أي: متربوحاً بالكلية لم يؤمنوا به، ولا قبلوه بوجه من الوجه، ولم يعرفوا إليه رأساً، ولم يتأثروا بوعظه ووعيده، بل أعرضوا عنه مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه والإقبال على أحكامه، وقالوا فيه غير الحق من أنه سحر وشعر، وهذا هجران مذموم (٢).

وقد عبر في الآية بالاتخاذ مع أن الهرج ترك؛ لأن « فعل الاتخاذ إذا قيد بحالة يفيد شدة اعتناء المتتخذ بتلك الحالة، بحيث ارتكب الفعل لأجلها وجعله لها قصدًا، فهذا أشد مبالغة في هجرهم القرآن من أن يقال: إن قومي هجروا القرآن. واسم الإشارة في هذا القرآن لتعظيمه، وأن مثله لا يتخذ مهجوراً، بل هو جدير بالإقبال عليه والانتفاع به»<sup>(٣)</sup>، فحري بنا أن نقبل عليه، ونتحذه صاحبًا وأئسًا، لا مهجورًا، فحق

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧ / ١٩.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من  
أسباب دخول النار الإعراض عن دين الله  
والاستهزاء به، واتخاذه لهواً ولعيباً.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَتَخْذَلُوا دِينَهُمْ  
لَهُوَا وَلَعْبًا وَغَرَّهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ  
نَنَسْأَلُهُمْ كَمَا نَسَأَلْنَا إِلَيْهِ يَوْمَهُ هَذَا وَمَا  
كَانُوا بِعَيْنِنَا يَجْعَلُونَ﴾ [الأعراف: ٥١].

ومعنى: ﴿أَتَخْذِلُهُمْ لَهُوا﴾ أي: بالإعراض والاستهزاء لمن يدعوهם إلى الإسلام، لهت قلوبهم وأعرضت عنه، ولعبوا واتخذوه سخريًا، أو أنهم جعلوا بدل دينهم للهو واللعب، ﴿وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: خدعتهم بزخرفها، واعتقادهم أنها الغاية القصوى، والنسوان في هذه الآية هو بمعنى الترك، أي: نتركهم في العذاب <sup>(١)</sup>.

٤. اتخاذ القرآن مهجوراً.

القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة، أمرنا الله بالتعبد بتلاوته وحفظه وتطبيق أوامره ونواهيه، واتخاذه دستوراً ومنهج حياة؛ لذا كان هجرانه اتخاذًا مذمومًا، سواء هجرانه بعدم الإيمان به، أو ترك تلاوته أو الغفلة عنه، أو بهجر العمل به والاحتکام إليه، وقد اشتکى رسولنا صلى الله عليه وسلم قومه إلى الله سبحانه وتعالى لهجرانهم القرآن وتكلذبهم له.

<sup>(١)</sup> انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٤٠ / ٢، تيسير الكريمة الرحمن، السعدي، ص ٢٩٠.

يَتَخَذُنَ الْأَخْدَانَ . المؤمن أن يكون كثير التعهد له، عاملاً به؛  
لِيَكُونَ شَفِيعاً لَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ .  
قال تعالى: ﴿مُحَصَّنَتٍ غَيْرَ مُسْلَفَحَتٍ  
وَلَا مُتَخَذَّلَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥].

أَخْدَانٌ جَمْعُ خَدْنٍ، وَهُوَ الْخَلِيلُ، وَكَانَ  
مِنْ نِسَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ تَتَخَذُنَ خَدَنَّا تَزَنِي مَعَهُ  
خَاصَّةً، وَمِنْهُنَّ مَنْ كَانَتْ لَا تَرْدِيدَ لَامْسَ،  
وَمَعْنَى: ﴿وَلَا مُتَخَذَّلَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ أي: غَيْر  
مَجَاهِرَاتٍ بِالْزَنَنَ، وَلَا مَسْرَاتٍ لَهُ، وَكَانَ الْزَنَنَ  
فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُنْقَسِّماً إِلَى هَذِينَ الْقَسْمَيْنِ <sup>(٤)</sup> .

لَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ لَنَا الزَّوْاجُ وَنَهَانَا عَنِ اتِّخَادِ  
الْأَخْدَانَ، فَالْمَبَاحُ لَنَا هُوَ الزَّوْاجُ بِالْحَرَائِرِ  
الْمُؤْمَنَاتِ الْعَفْيَاتِ، وَكَذَلِكَ الْكَتَابِيَّاتِ،  
بِشَرْطِ إِتَانِهِنَّ مَهْوَرَهُنَّ، بِقَصْدِ الْإِحْسَانِ  
وَالْإِعْفَاءِ، لَا بِالسَّفَاحِ وَارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ  
وَالْزَنِيِّ الْعَلْنِيِّ، أَوِ الْزَنِيِّ السَّرِّيِّ، وَهُوَ اتِّخَادُ  
الْأَخْدَانِ <sup>(١)</sup> .

قال تعالى: ﴿مُحَصِّنَيْنِ غَيْرَ مُسْلَفَحَيْنِ وَلَا  
مُتَخَذِّلَيْنِ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

أَيْ: عَاقدِينَ عَلَيْهِنَّ عَقْدَةَ النِّكَاحِ  
الْمُتَوَقَّفَةُ عَلَى الْمَهْرِ وَالْوَلِيِّ وَالشَّهَدَةِ  
وَصِيَغَةِ الإِيْجَابِ وَالْقَبْولِ، لَا مَسَافِحِينَ  
بِإِعْطَاءِ الْمَرْأَةِ أَجْرَةً وَطَئَهَا فَقْطَ بِدُونِ عَقْدٍ  
مُسْتَوْفٍ لِشَرْطِهِ، ﴿وَلَا مُتَخَذِّلَاتٍ أَخْدَانٍ﴾  
أَيْضًا بِأَنَّ تَنَكِحُوهُنَّ سَرًا بِحُكْمِ الصَّحَّةِ  
وَالصِّدَاقَةِ وَالْمَحْبَةِ، إِذْ ذَاكُ هُوَ الْزَنِيُّ، فَلَا  
يَحْلُ بِأَجْرَةٍ، وَلَا بِغَيْرِ أَجْرَةٍ <sup>(٢)</sup> .

وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَعِيرُونَ مِنْ  
يَزْنِي فِي الْعَلَانِيَّةِ وَلَا يَعِيرُونَ مِنْ يَزْنِي سَرًا،  
فَحَرَمَ اللَّهُ زَنِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَّةَ <sup>(٣)</sup> ، كَمَا شَرَطَ  
دِينَنَا عَلَى النِّسَاءِ أَنْ يَكُنْ مُحَصَّنَاتٍ، وَلَا

(٤) انظر: التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، ١/١٨٨، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٢/٦٦٧.

(١) انظر: التفسير المنيز، الزحيلي، ٦/٩٥.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزائرى، ١/٥٩٥.

(٣) تفسير السمرقندى، ١/٣٧١.

## أسباب الاتخاذ

إن لكل اتخاذ أسباباً تؤدي إليه، حري بنا أن نميز بينها، ونتبع كل اتخاذ محمود، ونأخذ بأسبابه ونسلك كل سلوك يؤدي إليه، ونتجنب كل اتخاذ مذموم، ونبعد كل بعد عن أسبابه، والتي من شأنها أن تجلب غضب الله وعقابه.

### أولاً: أسباب الاتخاذ المحمود:

إن للاتخاذ المحمود أسباباً حري بنا اتباعها، نذكر أهمها:

١. الإيمان.

إن من أهم أسباب الاتخاذ المحمود هو الإيمان، فالإيمان يدفع صاحبه لكل أمر محمود، ولكل فعل أمر به الشع ودعا إليه، والمؤمن أكثر الناس حباً لله، وحبه لربه يدفعه للإخلاص له في عبادته وعدم الشرك معه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَنْتَسِ مَنْ يَعْجِدُ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحْبُّونَهُ كَمْ حُبِّيَ اللَّهُ وَالَّذِينَ  
أَعْشَوْا أَشَدَّ حُبَّيَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فالآية الكريمة تبرز أن المؤمنين أشد الناس حباً لله، وهذا مدح لأهل الإيمان؛ لأن إيمانهم دفعهم لهذا الحب الخالص، وهذا الحب يدفعهم لتوحيده واتخاذ الله إلهاً واحداً، لا شريك له، ويدفعهم أيضاً

للابتعاد كل البعد عن اتخاذ الند كبعض الناس يتخد من دون الله أنداداً يحبونهم ويشركون مع الله في حبهم، فيسرونهم مع الله في المحبة والطاعة، فهم مشركون بهذا الحب الذي لا يصدر من مؤمن موحد؛ لأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً، ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشتت أمره<sup>(١)</sup>.

إن الإيمان الصادق بالله الذي يدفع المؤمن للاتخاذ المحمود، «فإن المؤمنين لا يحبون شيئاً حبهم لله، لا أنفسهم ولا سواهم، لا أشخاصاً، ولا اعتبارات، ولا شارات، ولا قيماً من قيم هذه الأرض التي يجري وراءها الناس، ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُوا أَشَدُ حُبَّيَ اللَّهُ﴾ أشد حباً لله، حباً مطلقاً من كل موازنة، ومن كل قيد، أشد حباً لله من كل حب يتوجهون به إلى سواه، والتعبير هنا بالحب تعبر جميل، فوق أنه تعير صادق، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب، صلة الوشيعة القلبية، والتجاذب الروحي، صلة المودة والقربي، صلة الوجدان المشدود بعاطفة الحب المشرق

(١) انظر: باب التأويل، المخازن، ١/١٠٠، تفسير المراغي، ٢/٣٨، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص. ٧٩.

كذلك فاتخذه وكيلًا<sup>(٣)</sup>.

### ٣. الانتفاع بالذكرة.

إن الانتفاع بالذكرة سبب يدفع للاتخاذ المحمود، فالإنسان مدعو للانتفاع بالذكرة والموعظة، فمن ينتفع بالذكرة والموعظة فإنه سيتخذ سبيلاً للإيمان والرشاد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيْ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمول: ١٩] أي: من كان يريد أن يتبع إلى ربِّه سبيلاً فقد تهيأ له اتخاذ السبيل إلى الله بهذه الذكرة، والذكرة هي الموعظة؛ لأنها تذكر الغافل عن سوء العواقب، فالانتفاع بالذكرة سبب لاتخاذ المحمود<sup>(٤)</sup>.

### ثانيًا: أسباب الاتخاذ المذموم:

#### ١. الكفر.

إن من أهم أسباب الاتخاذ المذموم هو الكفر بالله والنفاق-والعياذ بالله-، فالكافر كفره يصرفه إلى كل مذموم، وقد بين الله سبحانه وتعالي ذلك، ففي سياق ذكر صفات منافقي أهل الكتاب وما استحقوه من لعنة من الله؛ لأنهم اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يبين الله سبحانه وتعالي أن سبب هذا الاتخاذ المذموم أنهم لم يؤمنوا

(٣) التفسير الواضح، محمد الحجازي، ٣/٧٦٩.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور،

.٢٧٧/٢٩

الودود<sup>(١)</sup>.

### ٢. اتباع سبيل الهدى.

وإن من أسباب الاتخاذ المحمود اتباع سبيل الهدى، وطاعة الله فيما أمر والامتناع عما نهى، فالله سبحانه وتعالي أمرنا باتخاذه وكيلاً.

قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُوكِيلًا﴾ [المزمول: ٩].

هذا أمر من الله باتخاذه وكيلاً، وعدم اتخاذ الأولياء والآلهة والشفعاء من دونه، فمن أطاعه واتبع سبيل الهدى فاز وربح بهذا الاتخاذ المحمود، فإن من دلالة هذه الآية أن من حق التوحيد واتبع سبيل الهدى اتخذ الله وكيلاً.

يقول ابن عاشور: «إذا كان الأمر باتخاذه وكيلاً مسيئاً عن كونه لا إله إلا هو كان ذلك في قوة النهي عن اتخاذ وكيل غيره، إذ ليس غيره بأهل لاتخاذه وكيلاً<sup>(٢)</sup>.

«وهكذا المؤمن الكامل لا يتوكلا على سواه عليه سبحانه وتعالي ولا يعتمد على سواه، ولا ينقطع عن كل ذلك؛ لأن رب المشرق والمغرب وما بينهما، لا إله غيره، وكيف يكون غير ذلك؟! وكل ما في الكون شرقه وغريبه شاهد عدل على وحدانية الله، وأنه لا إله غيره، ولا معبد سواه، إذا كان الأمر

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/١٥٤.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٩/٢٦٧.

الاتخاذ المذموم وهو اتخاذ الأخبار، أي: العلماء، وعيسى ابن مريم أرباباً وألهة من دون الله.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الذي يتکبر عن آياته ولا يؤمن بها ويتبع سبيل الضلال، ويعرض عن سبيل الهدایة، فإنه سیتکبّط الطريق، فيصبح لا يميز طريق الحق من طريق الباطل، فیتخدّ سبیل الغی طریقاً ویترک طریق الرشد؛ لأنّه کذب بآیات الله، وغفل عن معطیات الإیمان.

قال تعالى: ﴿سَأَعْرِفُ عَنْ مَا يَنْتَهِي إِلَيْنَ  
يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَإِنْ يَرَوْا  
كُلُّ عَيْنٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ  
الرُّشْدِ لَا يَتَخَذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ  
الَّتِي يَتَخَذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا  
وَكَانُوا عَنْهَا غَنِيَّلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

يقول الشعراوي: «وَحِينَ يَرَى أَهْلُ الْكِبَرِ  
الْأَيْةَ الْكُوْنِيَّةَ أَوِ الْإِعْجَازِيَّةَ أَوِ آيَاتِ  
الْأَحْكَامِ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، وَحِينَ يَرَوْنَ  
سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخَذُونَهُ سَبِيلًا؛ لِأَنَّ سَبِيلَ  
الرُّشْدِ يَضْغِطُ عَلَى شَهْوَاتِ النَّفْسِ وَهُوَاهَا،  
فَيَنْهَا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى كَبحِ  
جَمَاحِ شَهْوَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهَا تَمْكِنَتْ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّ  
سَبِيلَ الغِيَّ يَطْلُقُ الْعَنَانَ لِشَهْوَاتِ النَّفْسِ،  
وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا إِذَا غَفَلُوا عَنِ معطیاتِ  
الإِیمانِ الَّذِي يَحْرِمُهُمْ مِنْ شَيْءٍ لِيُعْطِيهِمْ أَشْياءً

بِاللهِ وَلَا بِنَبِيِّهِ.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ  
وَالثَّمَنِ وَمَا أَنْزَكَ إِلَيْهِ مَا أَنْخَذُوهُمْ أَوْلَاهُ  
وَلَكُنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَلَمْ يُفْتَنُونَ﴾ [المائدة: ٨١].

فالآلية تبين أن عدم إيمان الذين يتولون المشركين سبب في اتخاذهم المشركين أولياء، فإن الإيمان بالله ورسوله وانزع عن توليهم قطعاً، ومانع لهم عن هذا الاتخاذ المذموم<sup>(١)</sup>.

## ٢. مخالففة أوامر الله واتباع سبيل الضلال.

إن مخالففة أوامر الله توقع المرء في الاتخاذ المذموم، فلما خالف اليهود والنصارى أوامر الله سبحانه وتعالى، وقد أمرهم بعبادته وعدم الشرك به، وقعوا بالشرك.

قال تعالى: ﴿أَنْهَكُنَّا أَخْبَارَهُمْ  
وَرَهَبْكُنَّهُمْ أَرْبَابًا يَنْ دُوبِ اللَّهِ  
وَالْمَسِيحَ أَبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا  
لِيَعْبُدُوا إِلَنَّهَا وَجَدَّا إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ  
شَهِيدٌ لَهُ عَكْمًا يُشَرِّكُونَ﴾ [التوبه: ٣١].

فالآلية توضح أن مخالفتهم لأمر الله وعدم التزامهم بأمره كان سبباً في هذا

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٧٠ / ٣.

**يَدْعُوا حَزِيبَهُ لِكُونَرَا مِنْ أَصْحَبِ السَّعِيرِ** ﴿فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًا﴾<sup>(٢)</sup>.

لجملة فإن اتباع غواية الشيطان تسبب اتخاذهم كل مذموم، «ذلك الشيطان الذي لعنه الله، والذي صرخ بنيته في إضلال فريق من أبناء آدم، وتمثيلهم بالأمنيات الكاذبة في طريق الغواية، من لذة كاذبة، وسعادة موهومة، ونجاة من الجزاء في نهاية المطاف! كما صرخ بنيته في أن يدفع بهم إلى أفعال قبيحة، وشعائر سخيفة، من نسج الأساطير، كتمزيق آذان بعض الأئماع؛ ليصبح ركوبها بعد ذلك حراماً، أو أكلها حراماً -دون أن يحرمها الله- ومن تغيير خلق الله وفطرته بقطع بعض أجزاء الجسم أو تغيير شكلها في الحيوان أو الإنسان، كخصاء الرقيق، ووشم الجلود، وما إليها من التغيير والتشويه الذي حرمه الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

قال تعالى: **﴿لَعْنَةُ اللَّهِ وَفَاكِ لَأَتَخَذَنَّ**  
**مِنْ عِبَادَكَ تَقِيبًا مَفْرُوضًا** <sup>١٦٦</sup> **وَلَا أَضْلَلَنَّهُمْ**  
**وَلَا أَمْبَينَهُمْ وَلَا أَمْرَئَهُمْ** **فَلَيَبْتَكِنَّ مَآذَاتَ**  
**الْأَنْعَمِ وَلَا مَرْءَاهُمْ** **فَلَيَغْيِرُّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ**  
**يَسْخَذُ الشَّيْطَانَ** **وَلَيَسْأَمِنْ دُوَيْنَ اللَّهِ فَقَدْ**  
**خَسِرَ حُسْرَانًا مَمِينًا﴾** [النساء: ١١٨]

[١١٩]

(٣) التحرير والتنوير، ٢٢ / ٢٦١.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢ / ٧٦٠.

أثمن»<sup>(١)</sup>.

ويقول السعدي في بيان سبب اتخاذهم سبيل الغي، وعدم اتخاذهم سبيل الرشد، «**﴿ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَذِبُوا بِعَيْنِتَنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَفَلِينَ﴾** فردهم لأيات الله، وغفلتهم عما يراد بها واحتقارهم لها، هو الذي أوجب لهم سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشد»<sup>(٢)</sup>.

### ٣. اتباع غواية الشيطان.

وإن من أسباب الاتخاذ المذموم: اتباع غواية الشيطان، فالشيطان يسعى في إغواء العباد، وتزيين الشر لهم؛ ليضلهم، وقد نهانا الله عن اتباع غواية الشيطان، وعن اتخاذه ولائنا، بل دعانا لاتخذه عدواً؛ لأنه يصل الناس ليكونوا من حزبه ثم يكونوا من أصحاب السعير.

قال تعالى: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُوْنَ عَدُوٌّ**  
**فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًا إِنَّمَا يَدْعُوا حَزِيبَهُ لِكُونَرَا مِنْ أَصْحَبِ**  
**السَّعِيرِ﴾** [فاطر: ٦].

يقول ابن عاشور: «وأعقب الأمر باتخاذ الشيطان عدواً بتحذير من قبول دعوته وحث على وجوب اليقظة لنغريمه وتجنب توليه بأنه يسعى في ضر أوليائه وحزبه، فيدعوه إلى ما يوقعهم في السعير، وهذا يؤكد الأمر باتخاذه عدواً؛ لأن أشد الناس تضرراً به هم حزبه وأولياؤه، وجملة **إِنَّمَا**

(١) تفسير الشعراوي، ٧ / ٤٣٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٠٢.

## أساليب القرآن في عرض الاتخاذ

استعمل القرآن الكريم أساليب متعددة في عرض الاتخاذ، نذكر هذه الأساليب خلال السطور الآتية مع ذكر أمثلة على كل أسلوب.

### أولاً: الخبر:

ورد الاتخاذ في القرآن الكريم بأسلوب الخبر في عدد من الآيات القرآنية؛ للإخبار عن موضوعات عدة منها:

- الإخبار عن اتخاذ المنافقين مسجد ضرار؛ لإلحاق الأذى والضرر بالمؤمنين، والتفرق بينهم، وتفوّق للكفر<sup>(١)</sup>، وهذا اتخاذ مذموم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخْذُوا مَسْجِدًا حِرَارًا وَكُفْرًا وَقَرِيبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا صَادَاهُ إِيمَانُهُمْ حَازَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّهُمْ لَكَذَّابُونَ﴾ [التوبه: ١٠٧].

- الإخبار عن حرمة اتخاذ الأخذان لل المسلمين والمسلمات، والإرشاد للزواج<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿مُتَحَصِّنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَحَذِّذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

«وقد جعل الإسلام المعركة الرئيسة بين الإنسان والشيطان، ووجه قوى المؤمن كلها لكفاح الشيطان والشر الذي ينشئه في الأرض والوقوف تحت راية الله وحزبه، في مواجهة الشيطان وحزبه، وهي معركة دائمة لا تضع أوزارها؛ لأن الشيطان لا يمل هذه الحرب التي أعلنها منذ لعنه وطرده، والمؤمن لا يغفل عنها، ولا ينسحب منها، وهو يعلم أنه إما أن يكون ولیاً لله، وإما أن يكون ولیاً للشيطان وليس هنالك وسط، والشيطان يتمثل في نفسه وما يشه في النفس من شهوات ونزوات، ويتمثل في أتباعه من المشركين وأهل الشر عامة، والمسلم يكافحه في ذات نفسه، كما يكافحه في أتباعه، معركة واحدة متصلة طوال الحياة، ومن يجعل الله مولاً فهو ناجٌ غائم، ومن يجعل الشيطان مولاً فهو خاسر هالك»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير المراغي، ٢٥ / ١١.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٢٤، ١٧٤.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٧٦١ / ٢.

٧. الإخبار عن اتخاذ المنافقين أيمانهم الكاذبة وقایة وستراً يسترون بها من نسبتهم إلى النفاق؛ لحفظ أموالهم وحقن دمائهم<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿أَتَخْذَلُوْا إِنْتَهُمْ جُنَاحٌ فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْتُمْ سَاهِنُوْمَا كَافُوا يَعْمَلُوْنَ﴾ [المنافقون: ٢].

**ثانيًا: النهي :**

ورد الاتخاذ في القرآن الكريم بأسلوب النهي في عدد من الآيات القرآنية؛ للنهي عن أفعال عده، هي من الأفعال المذمومة التي نهى القرآن الكريم عن اتخاذها، ومن أمثلة ذلك:

١. النهي عن اتخاذ آيات الله هزواً.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَخَذُوا مَا يَكُنْتُمْ هَزِيْلُوا﴾ [البقرة: ٢٣١].

٢. نهي المؤمنين من أن يتخدوا من الكفار بطانة وأخلاقه.

قال تعالى: ﴿يَتَكَبَّرُوا الَّذِينَ مَاءْمَنُوا لَا تَتَخَذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُوْكُمْ جَهَالًا وَدُؤُوا مَا عَنْهُمْ قَدْ بَدَأْتُ الْبَغْضَةَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَر﴾ [آل عمران: ١١٨].

٣. النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء.

قال تعالى: ﴿يَتَكَبَّرُوا الَّذِينَ مَاءْمَنُوا لَا تَتَخَذُوا

(٣) انظر: تفسير المراغي، ١٠٧/٢٨، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص. ٨٦٤.

وقال تعالى: ﴿مَحْصَنَتٍ عَيْرَ مُسْكَنَتٍ وَلَا مُتَحَذَّلَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥].

٣. الإخبار عن اتخاذ مريم للحجاب ساتراً لها؛ للتفرغ للعبادة<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتِ مِنْ دُونِهِمْ جَمَائِيَا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

٤. الإخبار أن الله غني عن اتخاذ الولد، وتتزهه سبحانه وتعالى عن الشريك والولد والصاحبة، وأن الملائكة هم عباد لله مكرمون.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَنْخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ﴾ [الأبياء: ٢٦].

٥. الإخبار عن شكوى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قومه باتخاذهم القرآن مهجوراً، تلاوة وعلمًا وعملًا.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَدْرِي إِنَّ قَوْمَي أَتَخْذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

٦. الإخبار عن المشركين الذين اتخذوا الله يتولونها من دون الله، فالله يحصي أفعالهم ويجازيهم بها يوم القيمة<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَتَخْذَلُوا مِنْ دُونِهِ أَقْلَيَةً اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦].

(١) انظر: التفسير الواضح، محمد الحجازي، ٤٤٩/٢.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبرى، ٥٠٢/٢١.

## ثالثاً: الأمر:

ورد الاتخاذ في القرآن الكريم بأسلوب الأمر في عدد من الآيات القرآنية، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١. أمر الله لل المسلمين بأن يتخدوا من مقام إبراهيم مصلى.

قال تعالى: **وَأَعِذُّوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّ** [البقرة: ١٢٥].

٢. أمر الله لل المسلمين أن يتخدوا الشيطان عدواً.

قال تعالى: **إِنَّ الشَّيْطَنَ لَكُوْنُ عَدُوٌ فَلَا يَنْهَا عَدُوًا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَعْجَبِ الْعَسِيرِ** [فاطر: ٦].

٣. أمر الله لنبيه أن يتخدنه وكيلًا، فيتوكل عليه وحده لا شريك له.

قال تعالى: **رَبُّ الْشَّرِقِ وَالْغَربِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقِهِ وَكِيلًا** [الزمول: ٩].

وهذا أمر بتخصيص الله بالتوكل عليه<sup>(٢)</sup>. وبذلك نرى أن الآيات أمرت باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، واتخاذ الله وكيلًا، وكذلك اتخاذ الشيطان عدواً، وهذه من أمثلة الاتخاذ محمود، الذي أرشدنا القرآن إليه.

## رابعاً: النفي:

استعمال القرآن الكريم أسلوب النفي في

**الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يُنَكِّمْ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** [المائدة: ٥١].

٤. نهي المؤمنين أن يتخدوا آباءهم وأخوانهم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان.

قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا مَابَاءَكُمْ وَلَا خُواْلَكُمْ أُولَئِكَ إِنَّمَا يَنْهَا عَنِ الْكُفَّارِ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَوْمَهُمْ يُنَكِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** [التوبه: ٢٣].

٥. النهي عن الشرك مع الله، واتخاذ الآلهة مع الله.

قال تعالى: **وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخَذُوا إِلَهَيْنِي أَنْتَنِي إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَجَدَ فَإِنَّمَا قَاتَلُهُونَ** [النحل: ٥١].

٦. النهي عن اتخاذ الأيمان وسيلة خداع ومكر، بإظهار الوفاء بالعهد وإيهان النقض<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: **وَلَا تَنْخَذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَنَزَلَ قَدْمَ بَعْدَ ثُبُورِهَا** [النحل: ٩٤].

٧. نهي المؤمنين أن يتخدوا عدو الله وعدوهم أولياء.

قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخَذُوا عَدُوَّكُمْ أُولَئِكَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ** [المتحدة: ١].

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٥٥/٨.

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٤/٢١٣.

## الاتخاذ

يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَا يَسْتَخِذُوا مِنْ دُونَ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ، وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَجْهَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [التوبه: ١٦].

والمعنى: أنكم لا ترتكون على ما أنتم عليه؛ حتى يتبيّن الخلوص منكم، وهو الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله، ولم يتخذوا ولبيحة، أي: بطانته، من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين»<sup>(٤)</sup>.

خامساً: الثناء على أهل الاتخاذ  
المحمود:

من الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في عرض الاتخاذ: هو الثناء، فقد أثني الله سبحانه وتعالى على نفسه، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالثناء عليه لتنزهه عن اتخاذ الولد، فالله سبحانه وتعالى له الكمال والثناء والحمد والمجده من جميع الوجوه، المترّزه عن كل نقص.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الْأَذْلِ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

ومعنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الثناء عليه بما هو أهله<sup>(٥)</sup>، «وقل: الحمد لله والثناء بالجميل على الفعل الجميل لله سبحانه وتعالى الذي لم يتخذ ولدا فهو ليس محتاجا إليه، واتخاذ الولد من صفات الحوادث وهو

(٤) الكشاف، الزمخشري، ٢٥٣ / ٢.

(٥) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ١٣٩ / ٥.

عرض الاتخاذ، في:

١. نفي الولد عن الله سبحانه وتعالى.  
قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١].

«والمراد: نفي الناصر له على وجه مؤكداً، فإن الحاجة إلى الناصر لا تكون إلا من العجز عن الانتصار لنفسه»<sup>(١)</sup>.

وكذلك نفي الله عن نفسه الولد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: ٢].

حيث نره سبحانه وتعالى نفسه بما قاله المشركون من أن الملائكة بنات الله، وعما قالت اليهود: عزيز ابن الله، وعما قالت النصارى: المسيح ابن الله، تعالى الله عن ذلك<sup>(٢)</sup>.

وجاء النفي أيضاً عن اتخاذه الولد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْطَةٌ﴾ [مريم: ٣٥].

ففي هذه الآية «نفي سبحانه وتعالى عن نفسه الولد، أي: ما كان من نعمته اتخاذ الولد»<sup>(٣)</sup>.

٢. نفي اتخاذ المجاهدين الخلوص بطاقة من الكفار.

قال تعالى: ﴿أَفَرَحِستُمْ أَنْ ثَرَكُوا وَلَمَا

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣٩ / ١٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢ / ١٣.

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٦٣ / ١٣.

المؤذتين بثبات الأمر وتمكنته، وكذلك قوله: ﴿سَيْدُ خَلْقِهِمْ﴾ وما في السين من تحقيق الوعد، وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين، وأن الصدقة منه بمكان، إذا خلصت النية من صاحبها﴾<sup>(٣)</sup>.

وبذلك نرى أن الآيات مدحت من يستحق المدح من أهل الاتخاذ المحمود.

### ساداً: ذم أهل الاتخاذ المذموم:

لقد ذم الله سبحانه وتعالى أهل الاتخاذ المذموم، ومثال ذلك ذم الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون مغراً.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَسْخَدُ مَا يُنْفِقُ مَعْرِمًا وَيُرِيقُ بِكُلِّ الدَّوَائِرِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةً السَّوْءَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ [التوبه: ٩٨].

فهذه الآية تبين أن من الأعراب من يعد نفقة التي ينفقها في جهاد مشرك، أو في معونة مسلم، أو في بعض ما ندب الله إليه عباده ﴿مَغْرِمًا﴾، أي: غرماً لزمه، لا يرجو له ثواباً، ولا يدفع به عن نفسه عقاباً<sup>(٤)</sup>.

وهذا اتخاذ مذموم، ذمه الله بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةً السَّوْءَ﴾ والسوء -فتح السين- مصدر ساءه يسوءه سوءاً، إذا فعل به ما يكره، وقيل: المفتوح بمعنى الذم، والمضموم بمعنى العذاب والضرر، والدوائر جمع دائرة، وهي ما يحيط بالإنسان

منزه عنها، ولم يكن له شريك في الملك؛ لأنه غير محتاج إليه، ولو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا، ولم يكن له ولی من الذل، أي: لم يكن له ناصر من الذل ومانع له منه، ولم يوال أحداً من أجل الذل؛ إذ هو القادر المقتدر الخالق صاحب التعم جل جلاله وكبره تكبيراً، وعظمته تعظيمياً يتناسب مع جلاله وقدسيته، والله أكبر ولله الحمد﴾<sup>(٥)</sup>.

ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المؤمنين من الأعراب الذين يتخلدون ما ينفقون قربات عند الله.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَسْخَدُ مَا يُنْفِقُ فَرِيقٌ قُرُونٌ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتُ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّمَا قُرْبَةُ لَهُمْ سَيْدُ خَلْقِهِمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ٩٩].

يقول ابن عاشور: «هؤلاء هم المؤمنون من الأعراب وفاحم الله حقهم من الثناء عليهم»<sup>(٦)</sup>.

يقول الزمخشري في بيان قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا قُرْبَةُ لَهُمْ سَيْدُ خَلْقِهِمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: «ألا إنها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقاد من كون نفقة قربات وصلوات، وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرف التنبية والتحقيق

(١) التفسير الواضح، محمد الحجازي، ٤٠٢/٢.

(٢) التحرير والتنوير، ١٥/١١.

(٣) الكشاف، ٣٠٤/٢.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبرى، ٤٣٠ / ١٤.

ظلم<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن كثير: «هذا تنفير من موالة أعداء الإسلام من الكتابين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون، وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المستمدلة على كل خير دنيوي وأخروي، يتخذونها هزواً يستهزئون بها، ولعباً يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكيرهم البارد»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك ذم الله قوم موسى الذين اتخذوا العجل إلهًا يعبدونه من دون الله.

قال تعالى: ﴿وَأَخْذَ قَوْمًا مُّوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ حُلْيَتْهُمْ عَجْلًا جَسَدًا لَّهُ حُلْيَا أَتَرَبَرَأُوا إِنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَيِّلًا أَخْذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

أكذب سبحانه وتعالى ذمهم بقوله: ﴿أَخْذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أي: اتخذوا العجل معبدًا لهم وهم يشاهدونه لا يكلمهم بأي كلام، ولا يرشدهم إلى أي طريق، ولا شك أنهم بهذا الاتخاذ كانوا ظالمين لأنفسهم بعبادتهم غير الله، وبوضعهم الأمور في غير مواضعها<sup>(٥)</sup>.

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١١٢٧/٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ١٤٠/٣.

(٥) التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٣٨٠/٥.

من مصيبة ونكبة، تصوّرًا من الدائرة المحيطة بالشيء من غير انفلات منها، وإضافة الدائرة إلى السوء من إضافة الموصوف إلى صفتة للمبالغة، وفي هذا التعبير ما فيه من الذم لهؤلاء المنافقين؛ لأنّه سبحانه وتعالى جعل السوء كأنّه دائرة تطبق عليهم فلا تفلتهم، وتدور بهم، فلا تدع لهم مهربًا أو منجاة من عذابها وضررها<sup>(٦)</sup>.

وذم الله الذين يتخذون الصلاة هزواً ولعباً، بتحقير عقولهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتَهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ أَخْذُوهُمْ هَزْوًا وَلَعْبًا ذَلِكَ يَأْنَمُهُمْ قَوْمٌ لَا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدah: ٥٨]

يقول ابن عاشور: «﴿ذَلِكَ يَأْنَمُهُمْ قَوْمٌ لَا يَقْتُلُونَ﴾ تحقير لهم؛ إذ ليس في النداء إلى الصلاة ما يوجب الاستهزاء فجعله موجّبًا للاستهزاء سخافة لعقولهم»<sup>(٧)</sup>.

فهذا ذم للاتخاذ المذموم وأهله، وهو تسفيه لهؤلاء الذين يحدّدون الله ورسوله، ويهزّعون من يولي وجهه إلى الله، راكعاً وساجداً، ولو عقلوا لعلموا أنّهم بعملهم هذا، يحاربون الله ويصدّون الناس عن أداء حقه عليهم من الولاء لجلاله، والشكران لنعمه، إنّهم ظلموا أنفسهم ظلماً فوق

(٦) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٣٠٣/٢، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨٢/١٠، التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٣٨٨/٦.

(٧) التحرير والتنوير، ٢٤٢/٦.

سابعاً: الاستفهام الإنكارى:

ورد الاتخاذ في القرآن الكريم بأسلوب الاستفهام الإنكارى في عدد من الآيات، ومن أمثلة ذلك:

• الاستنكار على الذين ادعوا أنه لن تمسهم النار، أتخدوا عهداً عند الله حتى لا يعذبهم<sup>(١)</sup>؟

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَنْعَلِمُ أَلَا أَتَيْمَا مَعْذُولَةً فَلَمْ يَخْذُلُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ لَغُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

• استنكار إبراهيم عليه السلام على أبيه آزر لاتخاده أصناماً آلهة من دون الله، وهي لا تضر ولا تنفع<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا زَرْ أَتَتَخْذِ أَصْنَامًا مَالَهُ إِلَّا أَنْكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ شَيْئَنَ﴾ [آل عمران: ٧٤].

• أمر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يستنكر على الذين اتخذوا من دونه - وهو الخالق - أولياء لا يملكون النفع والضر لأنفسهم، فكيف سينفعون غيرهم<sup>(٣)</sup>؟

قال تعالى: ﴿فَلَمَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا يَخْذُلُمْ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ لَا يَعْلَمُونَ لَا يَشْعُمُونَ﴾

(١) انظر: أيسير التفاسير، الجزء الثاني، ١/٧٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣١٢/٧.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٢/٥.

﴿تَقْعَدُوا لَا صَرَا﴾ [الرعد: ١٦].

• الاستنكار على من اتخذ إبليس وذراته أولياء من دون الله، واستبدال من خلقهم وأنعم عليهم بعدهم<sup>(٤)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَلَذِقْنَا بِالْمَلَائِكَةِ أَسْجَدُوا لِلْأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَخِذُونَهُ وَدُرْبِرَتْهُ أُولَئِكَةَ مِنْ دُونِنِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يَقْسِنُ لِلظَّالِمِينَ بَدْلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

• استنكار الرجل الصالح ناصح أهل القرية على نفسه أن يتخد آلهة من دون الله، وذلك من تمام التعريض بالمخاطبين استنكاراً عليهم بجعل الأواني آلهة لا تدفع ضرولاً تشفع<sup>(٥)</sup>.

قال تعالى: ﴿أَتَتَخْذِي مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً إِنْ يُرِيدُنَ الرَّحْمَنُ بِصَرِّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ﴾ [يس: ٢٣].

وهكذا نجد أن الاستفهام في الموضع السابقة جاء لإنتكاري اتخاذ مذموم فعله المتخدلون؛ فاستحقوا استنكار فعلهم.

(٤) انظر: المصدر السابق، ٥/٢٢٧.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٦٨/٢٢.

فعلهم، ووعدهم برحمته.

قال تعالى: ﴿ وَرِبُّ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَسْتَخِذُ مَا يُنْفِقُ فَرِبْنَتِي عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّمَا فِرْقَةُ لَهُمْ سَيِّدُ خَلْقِهِ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبه: ٩٩].

فهذا وعد من الله سبحانه وتعالى لهم، يدخلهم في رحمته التي هي الجنة، فإنه يغفر ذنبهم أولاً، ويدخلهم الجنة ثانياً، هذه سنته -تعالى في أولياته، يطهرهم ثم ينعم عليهم بجواره <sup>(١)</sup>.

يقول الشعراوي: «ورحمة الله هي نعيم مقيم، وهي دائمة وباقية ببقاء الله الذي لا يحد، أما الجنة فباقية وخالدة ببقاء الله لها، إذن: فدخولك في رحمة الله أعلى من دخولك جنته، فحين يقال: «دخل في الرحمة» فمعنى ذلك أن الرحمة ستظله إلى ما لا نهاية» <sup>(٢)</sup>.

واقبة أهل الإيمان، أصحاب الاتخاذ المحمود، مغفرة من الله، حيث بين الله هذه العاقبة الحسنة بعد أن دعا إلى اتخاذ الشيطان عدواً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُوْنُ عَدُوٌ فَانْجِذُوهُ عَدُوٌ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعْيِ ① إِنَّمَا كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٤١٧ / ٢.

(٢) تفسير الشعراوي، ٥٤٤١ / ٩.

## عاقبة الاتخاذ

إن الاتخاذ أمر اختياري يتخله المتخد، ولما أمرنا الله باتخاذ كل محمود ونهانا عن اتخاذ كل مذموم، جعل لكل اتخاذ عاقبة، إما ثواب وإنما عقاب، فمن اتخذ اتخاذاً مذموماً أفلح وفاز، ومن اتخذ اتخاذاً مذموماً خسر وخاب.

### أولاً: عاقبة الاتخاذ المحمود:

إن أهل الإيمان الذين التزموا أوامر الله وانتهوا عمما نهى، هم أصحاب الاتخاذ المحمود، الذين يتخلون الله ولها ووكلاً، ويتحذلون القرآن دستوراً ومنهج حياة، ويتبعوا سبيل الهدى ويتحذلو طريقاً، هؤلاء عاقبتهم الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، فيحيون حياة طيبة في الدنيا، ويظلمهم الله برحمته في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْكِمَنَّ لَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخَلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمَيِّنُ ﴾ [الجاثية: ٣٠].

وقد بين الله سبحانه وتعالى عاقبة أهل الإيمان من الأعراب الذين يتخلون ما ينفقون قربات عند الله، فقد أثني على

وَعَمِلُوا أَصْنَالَهُتْ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَيْدُرْ ) [فاطر: ١٠٧]

يُبَيِّنُ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ بِطَرِيقِ الْوَعْدِ لَا  
الْوَعِيدُ مَا لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِأَضَدَادِ  
مَا اتَّصَفَ بِهِ الْكُفَّارُ، فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا  
بِمَا يَقْتَضِي إِيمَانُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ،  
وَلَمْ يَتَخَلَّوْا أَيَّاتِ اللَّهِ وَرَسُلِهِ هَرَوْا كَمَا فَعَلُوا  
الْكُفَّارُ، هُمْ أَهْلُ الْفَرْدَوسِ جَعَلُهُمُ اللَّهُ لَهُمْ  
أَنْلَاءً وَأَكْرَامًا (٢).

«المراد بجنت الفردوس: أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، وأن هذا الثواب لمن كمل فيه الإيمان والعمل الصالح، والأنبياء والمقربون، ويحتمل أن يراد بها: جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب جميع طبقات أهل الإيمان، من المقربين، والأبرار، والمقتصدين، كل بحسب حاله، وهذا أولى المعنين؛ لعمومه، ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضاد إلى الفردوس، ولأن الفردوس يطلق على البستان المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتقة، وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نزل، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي ضيافة أجل وأكبر، وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية على كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، من المنازل الأنثقة،

فالآيات تبين أن الناس انقسموا إلى مؤمنين وكافرين بحسب اتخاذهم للشيطان عدواً أو ولیاً، فالذین کفروا ولم يلتزموا أوامر الله، واتخذوا الشیطان ولیاً لهم عذاب شدید في نار جهنم، أما الذين آمنوا وعملوا بمقتضى الإيمان بالتزامهم بأمر الله، واتخذوا الشیطان عدواً، لهم مغفرة لذنبיהם وأجر كبير يحصل به المطلوب، وهذا أجر كل من اتخاذًا محمودًا، أرضي به ربه <sup>(١)</sup> جل جلاله.

إن أهل الاتخاذ محمود هم أهل الفردوس، ونعم العاقبة لهم، فلما بين الله سبحانه وتعالى في كتابه عاقبة الكافرين وأن جزاءهم جهنم وبئس المصير، الذين اتخذوا آيات الله ورسله هزواً، بين عاقبة أهل الإيمان أصحاب الاتخاذ محمود، الذين آمنوا بآيات الله واتخذوها دستوراً، وأمنوا برسل الله واتخذوهم أنبياء وقدوة لهم.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَبْيَاتٍ رَّتَبْهُمْ  
وَلِقَاءِهِ فَيُحَطَّ أَعْنَاهُمْ فَلَا تُقْسِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزُنْدَاقَةُ  
١٠٣ ذَلِكَ جَرَاحُمُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَأَخْنَدُوا مَآيِّنَ  
وَرَسِيلَ هُرَيْزَةَ ١٠٤ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
كَانُوا لَمَّا هُمْ جَنَاحُتِ الْقَرْدَوْسِ نُزَلا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٦٨٤، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٤٤٧.

<sup>(٢)</sup> انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٢٥٠/٥

اتخذ آلهة من دونه، ولا يستوي من اتخذ القرآن دستوراً، ومن اتخاذ مهجوراً.  
وأول عاقبة لصاحب الاتخاذ المذموم الذي ظلم نفسه، هو الندم، في يوم القيمة يندم الظالم ويعرض على يديه؛ لأنه لم يتخذ مع الرسول سبيلاً، واتخذ طريق الغي سبيلاً له، واتخذ من أهل الشر أخلاقاً، أضلواه عن طريق الحق.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُمُ الظَّالِمُونَ عَلَىٰ يَدِيهِ يَكْتُلُونَ يَتَائِفَنَّ أَتَخَذُتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۚ ۖ يَتَوَلَّنَّ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْنَا أَتَخَذُ فَلَانَّا خَلِيلًا ۚ ۖ ۷۲﴾ [الفرقان: ۷۲].

وعض الظالم على يديه، كنابة عن الحسرة والندم، على ما فاته من خير، ولا يمكنه حينها دركه، وسبب الحسرة التي تملأ قلب الظالم في هذا اليوم، وهو أنه قد كان على طريق مختلف لطريق النبي، وأنه دعي إلى الإيمان فأبى، ولم يتخذ مع الرسول سبيلاً، بل اتخذ سبيلاً مع الضالين من أمثاله، الذين أغواه، وأغواهم، فكانوا حزبًا على النبي والمؤمنين<sup>(٢)</sup>.

فالعبد مدعو ليتدارك ما فاته، قبل الوقت الذي لا يمكنه ذلك، ولি�تخذ كل ما من شأنه أن يكون سعادة له، لا ما يجعل له الندم وغضب الله سبحانه وتعالى ، فالذين

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١١/١٠.

والرياح الناضرة، والأشجار المثمرة، والطيور المغفرة المشجية، والمأكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائفة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة.

وأعلى ذلك وأفضله وأجله، التنعم بالقرب من الرحمن ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتتمتع ببرؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرؤوف الرحيم!! فللله تلك الضيافة، ما أجلها وأجملها، وأدومها وأكملها، وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علماً حقيقياً يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأسواق، ولتقطعت أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحدان، ولم يؤثروا عليها دنيا فانية<sup>(١)</sup>.

اللهم اجعلنا من أهل الفردوس يا رب العالمين.

## ثانيًا: عاقبة الاتخاذ المذموم:

كما أن لأهل الاتخاذ المحمود عاقبة حميدة وحسنة، فإن أهل الاتخاذ المذموم لهم عاقبة سيئة، فالجزاء من جنس العمل، فلا يستوي من اتخذ الله ولیاً ووكيلاً، ومن

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٤٨٨.

قال تعالى: ﴿وَلَاذَا عَلِمَ مِنْ مَا يَكْتُبُنَا شَيْئاً أَخْذَهَا هُزُوا اُولَئِكَ هُمْ عَنَّا ثَمَّ شَهِيْنِ ﴾<sup>(١)</sup> قَنْ وَرَأَيْوْمَ جَهَنَّمَ وَلَا يَعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا أَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلَاهُ وَلَمْ يَعْلَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: ١٠ - ٩].

فكل مستكبر مكذب بآيات الله ومستهزئ بها، يناله عذاب الله، هذا ما بيته الآيات وهي تصف مصير كل من اتخذ آيات الله هزواً، واتخذ من دون الله ولیما، بأن لهم عذاباً ذا إهانة، يتکافأ مع استکبارهم واستهزائهم، فالجزاء من جنس العمل، ومن ورائهم جهنم، ولا يعني عنهم ما كسبوا شيئاً من الأموال والأولاد، فتلك مواقف لا ينفع فيها مال ولا بنون، بل يفر المرء فيها من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه، ولا يعني عنهم ما اتخاذوهم أولياء من دون الله كالأصنام وسائر المعبودات الباطلة، ولهم في جهنم عذاب عظيم لا يعرف قدره أحد من الخلق<sup>(٢)</sup>.

والآيات في كتاب الله كثيرة تبين أن عاقبة كل اتخاذ مذموم، هو العذاب والعقاب الرباني، وبئس العقاب الذي يستحقه من خالف أمر ربه، واتبع طريق الضلال، وهذا ترهيب من هذا السبيل، فحربيًّا بنا تجنب هذا السبيل المذموم، وكل ما من شأنه أن

يتخلدون كل مذموم ينالهم غضب من ربهم عاقبة وجزاء على عملهم، فالذين اتخذوا العجل إلهًا من دون الله يعبدونه، سينالهم غضب من الله، وذلة في الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اخْتَدَوْا الْعَجْلَ سَيَّنَاهُمْ عَصَبَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَّالِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

«إنه حكم ووعد، إن القوم الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا، ذلك مع قيام القاعدة الدائمة: إن الذين يعملون السيئات ثم يتوبون يغفر الله لهم برحمته، وإن فقد علم الله أن الذين اتخذوا العجل لن يتوبوا توبة موصولة وأنهم سيرتكبون ما يخرجهم من تلك القاعدة، وهكذا كان، فقد ظل بنو إسرائيل يرتكبون الخطيئة بعد الخطيئة ويسامحهم الله المرة بعد المرة، حتى انتهوا إلى الغضب الدائم واللعنة الأخيرة: ﴿وَكَذَّالِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ كل المفترين إلى يوم الدين، فهو جزاء متكرر كلما تكررت جريمة الافتداء على الله، من بنى إسرائيل، ومن غير بنى إسرائيل، ووعد الله صادق لا محالة، وقد كتب على الذين اتخذوا العجل الغضب والذلة»<sup>(٣)</sup>.

هذا هو مصير كل من اتخذ كل مذموم ومحرم نهاها شرعاً أن تتخذه، غضب من الله، وعذاب في جهنم.

(٢) انظر: التفسير الواضح، محمد المحجاري، ٤٢٦ / ٣.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٣٧٥ / ٣.

يجلب غضب الله وسوء العاقبة، والسعى دائمًا لكل ما يرضي الله، ويكون سببًا في النجاة والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

م الموضوعات ذات صلة:

الأخذ، الصحبة، المحبة

